دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التطريز الشعبي المقدوني
المصدر:	مجلة التراث الشعبي
الناشر:	وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر
المؤلف الرئيسي:	البياتي، هادي منعم
مؤلف:	هيئة التحرير(عارض)
المجلد/العدد:	مج 13, ع 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1982
الشهر:	شباط
الصفحات:	115 - 120
رقم MD:	320143
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الازياء، التراث الشعبي، الفولكلور الشعبي، التطريز، مقدونيا، الملابس، القبائل السلافية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/320143

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التطريز الشعبي المقدوني

بقلم : نخبة من المختصين في المركز
الفولكلوري في مدينة سكوبيا
ترجمة : لهادي منعم البياتي

ان التطريز الشعبي في مقدونيا هو تراث ثقافي غني وابتكار فني شعبي له اهميته ، يعود في اصوله الى قرون عديدة سابقة ، وان المشتغلين بهذا الفن هم النسوة الفلاحات اللاتي يرتبطن ارتباطا وثيقا بتقاليد البيئة التي يعشن فيها ويقمن بنقل مهارتهن وفنهن من جيل الى آخر ، وهذا هو نموذج لجميع المظاهر الاخرى للتراث الثقافي الفولكلوري .

ان فن التطريز الشعبي في مقدونيا قد بقي حتى وقت متأخر باعتباره زينة تراثية تحملها ازياء الفلاحين الشعبية حيث يتم تحقيق المفاهيم الجمالية والخبرات الفنية لمبتدعيها الذين يعبرون بشكل ملائم ومتميز عن طريقة الزخرفة والاسلوب المتبع والالوان ، وذلك بالاضافة الى التطريز الذي يمثل الثقافة الشعبية التي هي صفات التقاليد الثقافية القديمة .

ان فن التطريز لشعب مقدونيا بوصفه تعبيرا عن المظاهر الجمالية والمادية العامة لبيئة معينة قد تطور ضمن اطار ظروف اقتصادية واجتماعية معينة وفي غضون القرون المتعددة لتطور هذا الفن فانه قد تحول عن طريق تغيرات ومساهمات ثقافية متعددة ومهمة ، مع توفر التأكيدات الثقافية المتعددة ، فان التطريز الشعبي المقدوني قد اكتسب شكلا فنيا عرقيا محددا متميزا .

واليوم فأن من الصعب التحدث عن التطريز المقدوني ابتداء من الماضي السحيق اذ ان الافتقار الى المزيد من التفاصيل المادية والوثائق الخطية الاكثر قدما كما ان نتائج البحث الحديث ونشوء فروع اخرى لهذا الفن لا تسمح بتحقيق ملاحظة كاملة لطريقة تطور فن التطريز عبر العصور، ونتيجة لهذا فان هذا التراث الثقافي العريق يمكن ملاحظته من خلال منظوراته التاريخية وذلك بصورة عامة فقط .

وليس من شك في ان السلافيين القدامى ارتدوا ازياء مزينة بتطريز ذي الوان متباينة وذلك منذ ان عرف التطريز من قبل الشعوب المختلفة في تلك الازمنة .

ومن جهة اخرى فان فن التطريز بالشكل الذي حققته بعض الشعوب السلافية في القرن التاسع عشر يعرض مستوى رفيعا من المهارة بشكل يؤكد ان خبرات القرون المتعددة كانت ضرورية في هذا المجال .

واذا ما تذكرنا بان التطريز قد استعمل من قبل السلافيين القدامى نستطيع ان نفترض بان القبائل السلافية العديدة التي استوطنت في منطقة مقدونيا حتى القرن السابع قد احتفظت بجانب من مهارتها القديمة في التطريز .

وعندما جاءت هذه القبائل الى مناطق البلقان فانها طردت سكان البلقان القدامى ولكن في خلال عملية الاندماج العرقي اكتسبت هذه القبائل الكثير من مميزات ثقافة هؤلاء السكان ، وان هذا بطبيعة الحال يتعلق بالازياء التي تخضع اكثر من أية مميزات ثقافية مادية اخرى الى تأثيرات وتغييرات مختلفة .

من المعروف ان السلافيين الاقدمين كانوا اثناء وجودهم في وطنهم الاصلي يرتدون زيا من قماش الكتان المزين بالتطريز ويسمى (سراكا) الذي اكتسبه السلافيون عن طريق التأثير الروماني ، وبالامكان ربط هذا الزي بزي بلقاني قديم يدعى (تونيكا دالماتيكا) وان هذا الزي كان عبارة بدلة رئيسية يرتديها سكان البلقان قبل مجيء السلافيين الى مناطقهم وكان يزين بالتطريز الذي اثبتته بعض نتائج الحفريات الآثارية ، وان الزي المسمى (تونيكا) قد بقى باعتباره بدلة نسائية رئيسية في منطقة مقدونيا حتى الوقت الحاضر .

وهذا الزي مزين بغزارة بأعمال التطريز الذي يتميز بالقدم من حيث الشكل ويحتوي على عناصر من التقاليد الثقافية لمنطقة البلقان والمنطقة السلافية القديمة .

ان السلافيين من سكان مقدونيا بعد ان استقروا في المنطقة الوسطى من شبه جزيرة البلقان حيث التقت تيارات ثقافية مختلفة قد خضعوا للتأثير الهليني المباشر والثقافة الرومانية والتأثير البيزنطي القوي بعد ذلك ، ومن بعده خضعوا الى ثقافة الشرق .

وقد تأثر سلافيو البلقان بصورة خاصة بالزخارف الذهبية والحريرية والارجوانية للاقمشة البيزنطية التي ازدهر انتاجها في الوقت الذي قدم فيه السلافيون الى البلقان ، ومن الممكن ان هذه الاقمشة المزخرفة بغزارة كانت بالنسبة للشعوب السلافية بمثابة مصادر لانكار جديدة في تزين ازياءهم ولو انها بالمقارنة بازيائهم الاصلية اكثر اعتدالا من حيث الاقمشة وطريقة الصنع .

ومن المحتمل ان المنسوجات التي عرفت في الفترات المسيحية الاولى كان لها أيضا تأثير على تزين ملابس سكان مقدونيا السلافيين متمثلة بشكل ظاهر في الاقمشة واعمال التطريز القبطية الذي نما حتى وصل مستوى رفيعا ومتطورا جدا في فن النسيج .

وان الملابس القبطية المزخرفة بغزارة انتشرت في جميع ارجاء منطقة البحر المتوسط واخترقت منطقة القفقاس حتى امتدت على طول نهر الفولكا.

وعند مجيء الاتراك سادت العناصر الشرقية ازياء سكان البلقان السلافيين ومع ذلك وحتى قبل مجيء الاتراك فأن السلافيين القدامى اتصلوا بالعديد من الشعوب الاسيوية ولذلك فان بعض التأثيرات الشرقية كان بالامكان ملاحظتها في ازياءهم وان هذه التأثيرات أصبحت واضحة في ازياءهم بسبب قربهم من بيزنطة .

ان الوثائق المتبقية من العصور الوسطى رغم انها لا تذكر الشيء الكثير عن ازياء العامة من سكان البلقان تعطى بعض التفاصيل حول الملابس المطرزة للفلاحين وقد ثبت هذا ليس فقط بكتابات الرحالة الالمان في مطلع العصور الوسطى ولكن بما ذكره رحالة القرن السادس عشر الذين مروا عبر صربيا ومقدونيا وبلغاريا .

هناك مصادر أخرى تثبت انه حتى في القرنين السابع والثامن عشر وخاصة في التاسع عشر كانت الازياء الفلاحية المطرزة وكذلك العباءات هي صفة مميزة للجزء الاكبر من السكان السلافيين والبلقان .

بدون شك ان التطريز خلال ذلك الوقت كان من العادات الشائعة للفلاحين من مقدونيا ـ التي انجزت الشكل الذي نجده من القرن التاسع عشر حتى الآن .

ان التفاصيل الجزئية لتطريز الملابس السلافية من العصور القديمة حتى الآن (متضمنا هولاء السلاف والمقدونيين) ولو كانت غير كافية لتوضيح او لشرح ميزة التطريز في العصور الماضية ولكن بالرغم من ذلك

تمكنا من الكلام عن تقاليد التطريز القديمة .

على الصعيد الآخر فأن التطريزات الفولكلورية المقدونية التي حفظت من القرن التاسعشر حتى اوائل هـذا القرن ، حفظت كثـيرا من العناصر الفنية التي تؤهل لامكانية عرض اصلها القديم بالاضافة للاشكال الاصلية لتطـورها ، بالاضـافة الى الاشـكال القديمـة لزينـة التطريز وصلته المتينـة بالتقاليـد القديمـة وتقاليـد الازيـاء ومعتقـدات الشـعوب التي صنعت من التطريز ظاهرة جمالية ومادة خاصـة للثقافة الروحية للشعب .

ان المعتقدات والتقاليد الشعبية الكثيرة المرتبطة بالمراحل المتعددة لتطور عمل التطريز وفن التطريز نفسه يدل على الاصل البعيد لتقاليد التطريز في مقدونيا ، وفي البداية يجب علينا أن نشـير الى التقليد ذي الجذور العميقة في حياة الناس حو لارتداء الملابس المطرزة وخاصة حول العادة القديمة في الزواج عندما يكون ارتداء الملابس المطرزة اجباريا ، ولكي ندعم هنا القول لدينا أمثلة كثيرة من فترات اكثر حداثة عندما كان فقدان الاقمشة المطرزة يستوجب زخرفة الملابس باسـاليب وصنع الاقمسـة صناعية والتي كان بأمكانها حفظ الطريقة التقليدية للتطريز على الاقل من الناحية الظاهرية .

وان من بين المؤشرات الاخرى التي توضح تقاليد التطريز التي لها جذور عميقة بحياة الناس هي تلك الاجزاء التي لها مناسبات شعائريـة وكنتيجة لهذا فقد تم حفـظ عناصـر قديمة وعديدة ولنذكرها ملابس العرائس ذات الزخارف الخاصة والتي عادة ما تزخرف بترف بالتطريزات، ثم نذكر غطاء رأس العروس المطرز وكذلك النماذج التي تلبس كعلامة للمـواد التي تعطي احتمالات لبقايا تقاليد ، وفي اثناء مسيرة تقاليد العادات القديمة هناك الكثير من الاشكال الاصلية القديمة التي انتقلت من جيل الى جيل وحفظت الى الوقت الحالي وخاصة الرسوم الزخرفية والتي ظهر بعضها حتى في حضـارات ما قبل التاريخ .

وانا ما اضفنا الى كل هذه الثروة الزخرفية العظيمة للتطريز وكذلك ما يرتبط من تقاليد التطريز مع التقاليد الشعبية لمقدونيا في هذه الحالة يمكننا ان نتحدث بتأكد بصالح فكرة التراث الحضاري القديم والتقاليد الفنية القديمة والتي يتطلب تآليفها وتطويرها وتطريزها وتكميلها فترة طويلة وعملية معقدة حتى من دون ان نلمس نشوء النظريات المنفصلة وما يمثلها بين الشعوب السلافية .

لقد استعمل التطريز الشعبي في جميع انحاء مقدونيا حتى وقت قريب ، وان النقوش التطريزية المختلفة والحيـة لغرب مقدونيا مثيرة للاعجاب بشكل خاص ، اذ ان التقاليد التطريزية دامت لاطول فترة من الوقت هناك ، بينما هـذا الفن لا يبدو بهذا الشكل في الجزء الشرقي من مقدونيا أو ان استعماله قد ترك منذ فترة طويلة وقد اختفت التطريزات الشعبية منذ فترة مبكرة في الجزء الاسفل والوسطي من وادي القاردار وهي الاقاليم التي كان لها اتصال مباشر مع (سالونيكا) والتي تسببت في تحولات اكثر سرعة في الثياب الشعبية .

ان من الصفات المميزة ان كل جزء من مقدونيا ، كل جزء اقليمي يتميز بزخارف تطريزية خاصة تحتوي على ميزة خاصة باسلوب الزخرفة بحـد ذاتها وبالتركيب واللون وفي بعض الاحيان يمكن ان نشاهد الفرق في قرى عديدة او حتى ضمن القرية الواحدة ، وان هذه الاختلافات المحلية والاقليمية لا تشتمل فقط على الاثار المرئية والاعتبادية بل التصورات الجمالية التي تخلق (تحدث) بالارتباط مع عمليات وثنية معقدة كانت جارية في اقليم مقدونيا منذ العصور القديمة .

والى جانب الزخارف التزينية المختلفة ومن مختلف المناطق تكونت وتطورت التطريزات الشعبية لمقدونيا في داخل اطارها المميز ، ويرجع هذا بالاخص الى المظهر الفريد والعام للملابس المقدونية وقد حددت هـذه الطرق الفريدة لخلق وتزيين هذه الملابس وبالاخص فساتين النساء ووشاح الرأس واللذان يمثلان الاشياء الاساسية في مقدونيا .

ان الميزة الاساسية النموذجية للتطريز والزخرفة في مقدونيا هـو السُمك اذ ليست فقط الزينات مزخرفة بل ايضا خلفية القماش وان جميع انواع التطريز تعمل بطرق الغرز على طول خيوط القماش وعلى الاغلب من الجهة الخلفية وان هذه الحقيقة تشهد على التطور ، وان المواد التي تستعمل عادة في التطريز هي الصوف وخيوط الحرير والفضة التي تحضر في البيت بصورة تقليدية وهذان الاخيران يستعملان بالاخص في الملابس المستخدمة في المناسبات ، ويضفي اللـون الاحمر على التطريز المقدوني بين الفاتح جدا والغامق جدا معتمدا على الصفات المميزة للمناطق.

ويستخدم في بعض التطريزات اللون الاسود باعتباره اللون السائد ويستخدم مع اللونين الاحمر والاسود والاصفر ـ الاخضر والازرق والتي غالبا ما يستخدمونه للمظاهر الخاصة ، وان الشيء الذي يميز الملابس الشعبية المقدونية هي الحلي والتي غالبا ما تكون هندسية الشكل والتي تتراوح بين الرسوم الخطية البسيطة والاشكال الخطية المعقدة .

اما الرسوم الخاصة بالنباتات والحيوانات فهي أقل استخداما ، ان بعض هذه الزخارف كان لها معان رمزية خاصة ولكنها اليوم احتفظت بهيئتها الشكلية فقط ونحن نستطيع من خلال أسماءها فقط ان نتبع رمزها الاصلي .

لقد وجدت الاثار التقليدية النموذجية التي هيمنت على بقايا الماضي في التقنية المستخدمة للاعداد للمواد الزخرفية كالاساليب الاصلية المستخدمة في الغزل والصبغ الخ ... ويمثل التكنيك للتطريز الشعبي المقدوني لايجاد الروابط مع الثقافات القديمة ومن اجل تتبع تأثيراتها ومن اجل القاء الضوء على سبيل تطور فن هذا الشعب .

تنبيه :

ورد في مقالة الدكتور ابراهيم السامرائي الموسومة بـ « مع القدامى في كلماتهم » في العدد الاول من السنة الثالثة عشرة من التراث الشعبي ص ٥٤ .

« قال الشيخ ابن برّي : وجدت حاشية مكتوبة ليست من أصل الكتاب (اي اللسان) » والصواب هو (الصحاح) وليس اللسان .